الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد

د . مهيوب غالب احمد *

توطئة

إن الموضوع الذي اخترته،هنا، شديد الاتساع-نسبياً- في الزمان. وإن مادة هذا البحث، هي: جنوبي شبه الجزيرة العربية وعلاقاتها التجارية مع بعض بلدان الوطن العربي، خلال الحقبة الزمنية المذكورة سابقاً. غير أنه من الضروري الإشارة إلى مناطق: شمال شرق أفريقيا، وفارس (بسبب سعة رقعة المساحة التي حكمتها الإمبراطورية الفارسية في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.) ومناطق حوض البحر المتوسط، لارتباطها أيضاً بالتجارة مع بعضها البعض. أي أنه لا مندوحة من أن نشير إلى تلك المنطقة على سعتها باعتبار أن جنوب شبه الجزيرة العربية لم يكن فقط منتجاً لسلعة البخور لكنه كان وسيطاً تجارياً، بين شبه القارة الهندية وشمالي شرق أفريقيا وبين مناطق حوض البحر المتوسط. فقد أقيمت شبكة واسعة من المستوطنات، سواءً داخل شبه الجزيرة العربية ، أو خارجها. وفضلاً عن ذلك امتدت تجارة العرب الجنوبيين القدماء إلى مناطق حوض بحر إيجة، أي إلى بلدان العالم الإغريقي- الروماني.

---

* أستاذ مشارك ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة ذمار .

وقد ظهرت المناطق الحضارية في جنوبي شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد (خريطة رقم واحد). وقد اكتسبت صفات؛ منها مناطقية خاصة بها ومنها حملتها معها من تلك المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية وثقافية أو بسبب هجرات متبادلة في ما بينهما. وتشهد عدة حقائق على أنه خلال حقبة زمنية طويلة حافظت الدول اليمنية القديمة في أثناء علاقاتها مع تلك المناطق في العالم القديم على خصائص كل منطقة على حدة. على أن بعض الآراء تشير إلى أن مؤسسي الحضارة اليمنية القديمة قد وصلوا من هناك. مثال ذلك حضرموت، التي تأثرت فيها الحضارة بخصائص حضارة جنوبي بلاد الرافدين [1] .

وعند بداية الألف الأول قبل الميلاد، حدث تطور واضح في تقنية الري، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع إنتاج المحاصيل الزراعية. ومن ثم تحولت تلك المحاصيل إلى سلع تجارية . ومن المهم أن نعرف الدور المهم الذي لعبته تقنية زراعة الأشجار، التي تعطي محصول الطيوب. لقد اشتهرت سلعة اللادان والمر والكندر والطيوب الأخرى، وأصبحت تجد لها إقبالا شديداً في كل بلاد الشرق الأدنى وحوض البحر المتوسط. وكانت تلك الطيوب تستخدم في المعابد في أثناء تأدية الطقوس الدينية، وفي تحنيط الموتى، ودخلت في تحضير العقاقير الطبية وبذلك كانت قيمتها مرتفعة جداً.

سبأ على طريق العلاقات التجارية الدولية :

شكل إنتاج الطيب مصدراً مهماً لثروة الدولة اليمنية القديمة، لا بل تشير بعض المصادر الكلاسيكية إلى أنها شكلت مصدر دخل خرافي لها. عندها خلع البعض عليها تسمية" العربية السعيدة". حيث إن تصدير الطيوب قد ساعد على زيادة التبادل التجاري وتوسيع العلاقات الثقافية. وسبب ذلك أن السبأيين في تلك الحقبة الزمنية كانوا أسياد تجارة ضخمة نقلتها قوافل وصل عدد القافلة الواحدة منها إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف جمل. أي أن النصف الأول من الألف الأول ق.م. كان عصر الدولة السبأية، بلا منازع – تقريباً–. حينئذٍ كان على رأس الدولة حاكم يدعى؛"مكرب" [2]. فالمكرب هو لفظ من الجذر "كرب"، وقد عرِف المكرب بأنه" لقب رئيس حلف قبلي في العصور المتقدمة" [3] ، كما عُرِف بأنه" مُجَمِع" [4]، وفي رأي ثالث؛ أن" المكرب كلمة مشتقة من الجذر كرب بمعنى:

جمع أو حشد، والمكرب المجمع... ويتميز الملك عن المكرب بترؤسه فقط (لشعب) واحد. وفي هذا السياق فإنه يمكن القول : بأن لفظة مكرب، تعني هنا: مُجَمِع الشعوب أو موحدها" [5]. ويعتقد أحد المستشرقين ؛ أن لقب مكرب يعني رئيس مجموعة من الشعوب[6].

وفي رأينا أن المكرب ظهر في حقبة زمنية معينة ارتبط بخصائص هذه المنطقة الدينية والاجتماعية وربما الاقتصادية. ومن المحتمل أن هذا المنصب، يشبه منصب لوجال (كبير) الذي حكم في المدن السومرية في عصر ظهورها المبكر. وهو؛ حاكم موحد جمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، في حقبة تاريخية مبكرة وفي بعض المراحل التاريخية اللاحقة، من التاريخ القديم لبلاد العرب الجنوبيين.

لقد شهدت حقبة المكاربة في جنوب شبه الجزيرة العربية أحداثاً مهمة من أجل التطور اللاحق، أهمها: التوسع الكبير لأراضي الدولة السبأية في الربع الثاني من الألف الأول ق.م (من نجران وحتى السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب ومن سواحل البحر الأحمر حتى حضرموت) ، وسيطرتها على المنطقة وعلى التجارة و ما يتبعها من تأثيرات اقتصادية وثقافية ونحو ذلك. بمعنى تشكل جهاز دولة معقد، لعبت بواسطته سبأ ، في ما بعد دوراً محورياً في المنطقة[7]. نعتقد أنه على أساس معطيات عدة نقوش عربية جنوبية، فإن هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الدولة السبأية تتميز بنمو واضح للعبودية[8]، وتطور الملكية الخاصة للأرض، ونمو دور التجارة، على أساس تخصص كل مقاطعة على حدة، ومن ثم ظهور مراكز تجارية ضخمة [9].

لذلك فقد وضع هذا النهوض الاقتصادي الدولة السبأية، على طريق العلاقات التجارية الدولية، منذ القرن العاشر قبل الميلاد. أي أنها بدأت تقيم علاقات تجارية وربما دبلوماسية مع بلدان شرق البحر المتوسط. يظهر ذلك من خلال سجلات الملك سليمان (عليه السلام) ، عندما ذُكر أن ملكة سبأ قد زارته في القدس[10]. وأنها حملت إليه هدايا فاخرة وعطور بكميات كبيرة. ويشير بعض المختصين بأنها حملت كذلك 120 مثقالاً من الذهب والأحجار الكريمة[11]. نحن نعرف أنه في تلك الحقبة الزمنية حكمت سبأ نساء ، لكننا لا نعرفهن بالأسماء، كما تشير الأسطورة إلى بعض التسميات. ولكننا نعرف-كذلك-

أن سبأ في ذلك الوقت كانت مصدرة لسلعة تجارية نادرة، كانت مهمة في شرق البحر المتوسط، نقصد بها سلعة البخور (الطيوب).

من المحتمل أنه في ذلك الوقت كانت بعض القبائل العربية الجنوبية ومنها السبأية، قد بدأت تستوطن بعض أراضي أثيوبية، وتحديداً تلك المنطقة التي سميت بعد حوالي 800 سنة، باسم أكسوم. بمعنى اجتاز السبأيون ومعهم بعض القبائل العربية الجنوبية البحر الأحمر، في تلك الحقبة الزمنية، وسيطروا على الساحل الإريتري، وتابعوا صعوداً حتى تيغراي، حيث شيدوا المدن هناك ومنها أكسوم. وأقاموا أول دولة في أفريقيا، شكلت في ما بعد أسس مملكة الأحباش. وفي وقت غير متأخر عن القرن الثامن ق.م. بدأت الدولة السبأية تقيم علاقات مع الدولة الآشورية. فقد أشار الملك تجلت بالاصر الثالث في حولياته سنة733 قبل الميلاد ؛ أنه من ضمن الأراضي التي حاربها مناطق سبئية. أما سرجون الثاني فقد دون في حولياته (715ق.م.)؛ أنه كان يحصل على هدايا من حاكم سبئي اسمه: يثع أمر. وأخيراً وُجد في أحد النقوش التي تعود إلى عهد سينحاريب (685 ق.م.) إشارة إلى حاكم سبئي آخر. إلا أنه لم يذكر اسمه. مما يعني أن تلك الهدايا أو-ربما- رشاوى، كانت تعطى مقابل مرور القوافل التجارية العربية الجنوبية بصورة آمنة ، وأن السبئيين، في ذلك الوقت، كانوا قد خرجوا إلى المسرح الدولي للتعامل المباشر مع الجيران القريبين منهم والبعيدين.

في القرن السابع قبل الميلاد تعقد الوضع السياسي في بلاد العرب الجنوبية، وخاصة بالنسبة للممالك السبأية، والقتبانية والحضرمية. إذ أن المملكة الأوسانية (حاضرتها كانت في وادي مرخة، تسمى حالياً " هجر أبو زيد") ، في تلك الأثناء سيطرة -تقريباً- على كل أراضي جنوبي بلاد العرب[12]. فحصرت بذلك المملكة السبأية في المناطق الجبلية. وتم لأوسان السيطرة الكاملة-تقريباً- على قتبان بصورة كاملة، وجزء من أراضي حضرموت. فضلاً عن ذلك فقد واجهت سبأ من الشمال تمرد كل من؛ دولة مدينة نجران ودولة مدينة نشان، الأمر الذي عقد الوضع السياسي والعسكري للسبئيين.

في تلك الفترة برز مكرب/ ملك سبئي كان يدعى كرب إل وتر بن ذمارعلى ، وتمكن من تشكيل تحالف عسكري- قبلي، ضم إلى جانب القبائل السبأية كل من قبائل

حضرموت وقبائل قتبان. وكان على رأس القبائل القتبانية الملك "ورو إل"، وعلى رأس القبائل الحضرمية الملك" يدع إل". ونحن هنا لسنا بصدد تتبع تلك المعارك التي جرت في ما بعد بين سبأ وحلفائها من جهة وبين الدولة الأوسانية من الجهة الأخرى، إذ أن ذلك ليس مجال حديثنا هنا. المهم أن الحرب انتهت لمصلحة السبئيين والحلف التابع لهم، ومن ثم تمكن المكرب/ الملك كرب إل وتر من بسط سيطرته على معظم الأراضي في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وإن لفترة محددة. بمعنى أن السبئيين بعد تحقيق انتصارهم على أوسان أقاموا نظام مراقبة على طرق القوافل التجارية في معظم أراضي شبه جزيرة العرب، على الأقل خلال النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن السادس ق.م. فضلاً عن ذلك راقبت مملكة سبأ بعض من تلك المناطق الساحلية، التي كانت تنتج البخور. على أن المناطق الرئيسة، التي تركزت فيها زراعة أشجار البخور والمر والورس والقرفة، كانت تقع ضمن الأراضي الحضرمية، حول خليج القمر وقريبة من ساحل البحر العربي، وفي جزيرة سقطرى.

وبالنتيجة أصبحت طرق التجارة الداخلية والخارجية، وكذلك معظم الأراضي الأوسانية، تحت سيطرة السبئيين أو في الأقل تحت تأثيرهم ، في وقت كان الطلب على سلعة البخور يزداد في مناطق الشرق الأدنى. الأمر الذي أمن دخلاً اقتصادياً كبيراً للدولة السبأية، بالرغم من أنه لم يستمر طويلاً. وفضلاً عن ذلك كانت كل من قتبان وحضرموت مرتبطة بالدولة السبأية، بحكم الدور الرئيسي الذي لعبته الأخيرة في تحطيم القدرة العسكرية لأوسان عدو الجميع[13]. وباختصار كانت مأرب حاضرة السبأيين تسيطر على طرق القوافل الكبرى التي تربط الجنوب العربي بمصر وغزة في الغرب وبلاد الرافدين في الشرق، حيث كان يحكم الآشوريون. وكان السبأيون يصدرون إنتاجهم الخاص وكذلك البخور والطيوب والتوابل والعطور، بوصفهم وسطاء لهذه السلع، إلى تلك المنطقتين.

الصراع السبئي القتباني- ظهور الدولة المعينية

عند ملتقى القرنين السابع والسادس ق. م.، بدت قتبان وكأنها استعادت عافيتها، وبذلك دخلت في صراع مكشوف مع حليفة الأمس (سبأ). يتضح ذلك من خلال بعض المصادر النقشية وكذلك المراجع، التي تشير إلى تحالف قتباني مع بعض المدن في وادي

الجوف(تأسست من هذه المدن في ما بعد دولة معين) ، ضد المملكة السبأية [14]. وبالرغم من أن المملكة القتبانية قد لحقت بها هزيمة عسكرية، إلا أن موازين القوى بدأت تتغير لصالح خصوم السبئيين. إن وجود مدن الجوف، منذ نهاية العصر الحجري الحديث (وربما منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد) ، كمنة، هرم، يثيل، قرناو، وغيرها من مدن وادي الجوف، قد لعب دوراً حاسماً في ظهور الدولة المعينية. على أن أهمية مدينة نشان في أعالي ذلك الوادي، كان استثنائياً بالنسبة للمملكة السبأية. فلقد حافظت هذه المدينة على علاقات تحالفية مع سبأ خلال مرحلة حكم المكرب الملك كرب إل وتر[15].

في مرحلة ما من القرن السادس ق.م- ربما عند منتصفه-. حدث نزاع عسكري بين سبأ ودولة مدينة نجران، في أقصى شمالي وادي الجوف. الأمر الذي أضعف -على ما يبدو- نفوذ سبأ في تلك المنطقة، مما أتاح الفرصة لدولة مدينة نشان للإفلات عن سبأ. فلاحظت بقية مدن وادي الجوف، تغير في موازين القوى هناك لغير صالح السبئيين. وبذلك أسست كل من مدينة يثيل ومدينة قرنا و (عرفت في ما بعد بمدينة معين) اتحاداً سياسياً تجارياً بينهما، ومن ثم أصبح ذلك الاتحاد القوى الرئيسة في وادي الجوف. أما بقية المدن وهي التي ذكرت سابقاً فقد انضمت الواحدة تلو الأخرى إلى ذلك الاتحاد. في القرن السادس ق.م. عرفنا أول ملك معيني، كان يدعى؛ عمياس نابط. استطاع هذا الملك أن يدحر أول هجوم سبئي على المدن المعينية بعد تأسيس دولة معين، ودافع ببسالة عن مدينة يثيل[16]. وهكذا ظهرت معين كنتيجة لاتحاد مدينتين تجاريتين، هما: قرناو ويثيل.

على عكس بقية الدول اليمنية القديمة، التي تشكلت نتيجة توحد مجموعة من القبائل، فقد تشكلت معين بنتيجة اتحاد سياسي- اقتصادي. كما أن الدولة المعينية على خلاف البقية لم يحكمها مكرب. وفضلاً عن ذلك فقد كانت سلطة الملك مقيدة وصلاحياته محددة ، بأعمال بروتوكولية (شكلية). بمعنى أن ملوك معين، وعلى عكس ملوك سبأ، نادراً ما كانوا يذكرون بنقوش البناء[17]. وبالرغم من المعابد الكثيرة التي بنيت في وادي الجوف (حيث أراضي معين) فإنه فقط ذُكِر الملك المعيني في واحدٍ منها [18].

لقد كانت معين دولة صغيرة لم تشغل كل أراضي وادي الجوف، ولكنها لعبت دوراً مهماً في تاريخ اليمن القديم واقتصاده. فقد تركزت بين يدي المعينين، في المرحلة اللاحقة (أي في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.) ، كل التجارة الخارجية مع دول حوض البحر المتوسط، وجزءاً لابأس به من التجارة الداخلية. وربما المعينيون في بداية نشاطهم، لم يرافقوا القوافل التجارية باتجاه الشمال، إذ كانت ترافق حمولة تلك القوافل القبائل البدوية القاطنة في وسط وشمالي شبه الجزيرة العربية، مقابل مبالغ تدفعها القوافل؛ إما عينية أو نقدية. على أن المعينين عند نهاية الربع الثالث من الألف الأول ق.م. امتلكوا شبكة واسعة من العلاقات التجارية مع مناطق شمالي الجزيرة العربية والشرق الأدنى كاملة-تقريباً-.

تظهر الوثائق التي تم العثور عليها بين أطلال معبد الرصاف بالقرب من قرناو، أنه عثر بينها على سجل لعدة نساء، خلع عليه الباحثون اسم" سجل المحضيات"[19]، مما يعني أنهن لعبن أدواراً مهمة في ذلك الوقت. وفي هذا السجل إشارة إلى أن التجار المعينيين في ذلك الوقت كانوا يتاجرون مع مصر وغزة وصيدة [20]. من المرجح أن التجارة كانت تتم بصورة فردية بشكل عام، إلاّ أننا نعرف عن اثنتين أو ثلاث قوافل كبيرة- على الأقل- اتجهت نحو الشمال. ففي أحد النقوش، (وجد في أطلال مدينة براقش) [21] ، حديث عن إحدى تلك القوافل، حيث يقول إن:1-" عم صديق، بن حم عثت من عشيرة يفيعن وسعد بن ولج (؟) من عشيرة ذفجان، الاثنين من كبراء (مسؤولي) تجار القوافل ... ، وقاموا برحلتين تجاريتين ... إلى مصر وآشور وبلاد ما وراء النهر...[22]، 2- وعندما ثقلوا ممتلكاتهم فإن إلههم عشتار ذو قبضم (؟)... من مصر في أثناء الحرب التي جرت بين مذاي[23] والمصريين..."

عند ملتقى القرنين الرابع و الثالث قبل الميلاد تمكن المعينيون من إقامة شبكة واسعة من المستوطنات التجارية على طول شبه الجزيرة العربية، كانت أبرزها المستوطنة المعينية في تمنع، (حاضرة قتبان- المعينيين بتمنع'm'nm/btmn) ، في الجنوب ومستوطنة العلا (ددان) ، إلى الشمال من يثرب في الشمال. في شمال غربي الحجاز، وفي أراضي الأمير اللحياني وجد ما يشبه البورصة التجارية، في الوقت الحالي.

عن ذلك تتحدث نقوش كثيرة وجدت بين أطلال قرية العلا، وهي التي أسماها المختصون في التاريخ القديم باسم:" ددان". كما تم العثور هناك على مقابر عديدة لتجار معينيين يمثلون عصور زمنية مختلفة. وفضلاً عن ذلك فإن النقوش التي وجدت في ددان (تم العثور على حوالي مائتي نقش معيني) تذكر عدد من الملوك المعينيين ومعبد معيني، كان في نفس الوقت عبارة عن مركز تموين نقدي للعمليات التجارية هناك[24]. وباختصار كانت المستوطنة المعينية في ددان عبارة عن مجتمع صغير للجالية المعينية هناك، يرأسها كبير[25].

ويمكن القول ، أنه بعد خروج المعينين إلى أسواق الشرق الأدنى القديم، بوقت ليس بالبعيد فإنهم واجهوا منافسة شديدة من تجار يمثلون مناطق مختلفة ؛ من غزة ومن جرهاء ومن الجزر اليونانية- وربما من أولئك الذين أسكنهم كسرى فارس: قورش في مناطق دجلة- بحسب ديودور الصقلي (XVII،110،5-4) ومن غيرها. لقد وصل هؤلاء التجار إلى شبه الجزيرة العربية إما عن طريق البحر (استخدموا القناة التي شقها دارا الأول وربطت بين النيل والبحر الأحمر) ، أو عبر البر. وعلى العموم لم تشكل تلك المنافسة خطراً فعلياً على التجارة المعينية في ذلك الوقت، ولكنها ظهرت كمنافس حقيقي في ما بعد. لقد كان لموقع بلاد العرب الجنوبيين الملائم، باعتباره ، مصدراً لسلعة البخور إلى مناطق العالم القديم، ووسيطاً تجارياً بين الهند ومناطق حوض البحر المتوسط، أن لعب هذا الموقع أدواراً مهمة في التبادل التجاري والثقافي بين حضارات جنوب أسيا والشرق الأدنى وحوض المحيط الهندي ومنطقة حوض البحر المتوسط. وساعدت كذلك الظروف المناخية بلاد العرب الجنوبيين أن تحتكر لنفسها هذا الدور .

بمعنى ؛ لقد كانت معرفة نظام الرياح الموسمية (الرياح التجارية) التي تهب في شمالي المحيط الهندي، في الشتاء وفي الصيف، تساعد السفن التجارية على الإبحار مباشرة من الموانئ الغربية للهند، إلى موانئ الشواطئ الجنوبية الغربية لشبه جزيرة العرب، وكان يتم الإبحار في هذا الاتجاه في الشتاء والربيع، وفي الاتجاه المعاكس صيفاً. الأمر الذي وظفه العرب الجنوبيون بصورة فعالة في المساهمة الحضارية مع بقية دول العالم القديم في حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط. وبذلك استفاد الهنود والعرب

من هبوب الرياح هذه، والاتجار مع شمالي شرق أفريقيا، فضلاً عن استفادة العرب من تجارة الترانزيت (المرور) .

ومع ذلك لم تستمر تجارة الهند وبلاد العرب الجنوبيين، مهنة خاصة بقاطني هاتين المنطقتين، فلقد أثارت تلك التجارة دولاً إقليمية مختلفة، حاولت أن يكون لها دولاً تابعة على طريق التجارة بين الهند والعربية الجنوبية وشمالي شرق أفريقيا. ففي بداية القرن السادس ق.م. وبأمر من فرعون مصر نينخو فُتِح من جديد الطريق البحري من مصر عبر البحر الأحمر حتى المحيط الهندي، كما دار حول أفريقيا الفينيقيون بناءاً على طلب الفرعون ذاته[26]. وخلال هذه الرحلة تم البحث عن خط مناسب من النيل إلى البحر الأحمر[27]. وعنه كتب شارل عيساوي يقول:" كان هذا التركيز على الصناعة والتجارة أمراً فريداً من نوعه في العصور القديمة "[28]. وأشار غوردون تشايلد " إلى أن نسبة الذين عملوا بالصناعة والتجارة من الفينيقيين كانت أكبر بكثير من الذين عملوا بها في مصر وبابل وأشور وبلاد الرافدين حيث كانت الزراعة تسيطر على مجمل النشاط الاقتصادي" [29]. وقد انعكس ذلك الهيكل الاجتماعي على المؤسسات السياسية الفينيقية. وبعد أن سيطر الفرس على مصر أرسل الملك دارا الأول، عند ملتقى القرنين السادس والخامس ق.م.، أحد البحارة الإغريق (كان يدعى؛ سكيلاك) ، مع بعثة مرافقة لغرض التأكد من الخط البحري بين الهند ومصر. وقد وُفِقَ سكيلاك بالإبحار عبر نهر الغانج (الهند) والمرور بالمحيط الهندي ثم البحر الأحمر قرب سواحل الجزيرة العربية وحتى مصر. وقد استغرقت هذه الرحلة حوالي ثلاث سنوات[30]. ثم استكمل شق قناة تربط بين النيل و البحر الأحمر في عهده أيضاً. ويجب أن نضيف أنه في عهد الإمبراطورية الفارسية، التي امتدت إلى الشرق كله،" ربطت الطرق وخطوط البريد الممتازة بين الأقاليم المختلفة والحاضرة. كما تم توحيد القياس والوزن وسك عملات ذهبية وفضية موحدة لكل الأقاليم[31]. ونتيجة لذلك، شهدت التجارة اتساعاً كبيراً. وهنا يقول غيرشمان:" لقد تجاوز حجم التجارة في القرنين السادس والخامس ق.م. أي مقدار عرف في ما سبق في منطقة الشرق القديم، غير أن أهم ما تميزت به التجارة هو أنها كانت تركز بالأساس على المنتجات العادية المستخدمة في الحياة اليومية، وعلى الأدوات المنزلية والملبوسات

الرخيصة ، ... ومن ثم اتجه تطور الصناعة إلى خدمة كل طبقات المجتمع في الإمبراطورية " [32]. كما يبدو أن التجارة مع الأقاليم الأخرى كانت على نطاق أوسع من ذي قبل، خاصة مع الهند وجنوبي الجزيرة العربية واليونان[33].

ازدهار القوافل التجارية الدولية- معرفة طرق الملاحة البحرية في المحيط الهندي :

شهدت الحضارة اليمنية القديمة خلال القرنين الرابع- والأول ق.م . نهوضاً اقتصادياً وثقافياً ملحوظاً، ومعها ازدهرت التجارة الدولية. وفي هذه الحقبة الزمنية برز دور المعينيين في التجارة، على المستويين الداخلي والخارجي. وقد عكس ذلك النهوض الاقتصادي والثقافي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ؛ فضلا عن زيادة الإنتاج الزراعي والحرفي وتطور العلاقات الاجتماعية. على أن ما وجده الباحثون من مصادر لا يشير إلى تلك التغيرات بصورة مباشرة، ولكنه يفهم من خلال المعايير الحقوقية. وتظهر النقوش التوسع الكبير في ملكية الأرضي، وزيادة عدد الأشجار المثمرة والمنتجة، مثل أشجار النخيل وأشجار البخور والطيوب الأخرى. ونلاحظ كذلك أن التشريعات الحقوقية قد ركزت على ثلاثة اتجاهات: أولاً- تدعيم نظام الضرائب والعطايا أو تغييره، التي تدفع لمصلحة المعابد وجهاز الدولة المحلي أو المركزي. ثانياً- تحديد القواعد القانونية من أجل استخدام الأراضي أو قنوات مياه الري. ثالثاً- تنظيم قواعد التجارة: أي العلاقة بين البائع والمشتري ضبط ضرائب أو رسوم التجارة .

وكان لزيادة الطلب على البخور في منطقة حوض البحر المتوسط وبلاد الرافدين أن استدعى نمو وتاثر لإنتاج هذه السلعة[34]. وفي هذه الحقبة الزمنية ازدادت حدة الصراع بين سبأ وقتبان من أجل السيطرة على طرق القوافل التجارية. ونتيجة لشدة الصراع اضطرت قتبان أن تسخر كل إمكانياتها لهذه الحرب [35]. على أن الخط الرئيس لنقل البخور من حضرموت، كان يمتد عبر الأراضي القتبانية [36]، ثم عبر سبأ. مع العلم أن قتبان كانت تنتج كميات ليست بالكثيرة من البخور، وتنقل عبر سبأ، أيضاً. في حضرموت كان البخور يجمع تحت الرقابة الصارمة من ملوك الدولة [37]. ومن ثم فإن مناطق إنتاج البخور في شرق البلاد كانت مغلقة ليس أمام الأجانب ولكن أمام مواطني الدولة ذاتها [38] ، أي : أن منطقة إنتاج البخور كانت محصورة ملكيتها لحوالي ثلاثة

ألاف أسرة، وكان يتم جمع المحصول وفق طقوس محددة [39] ، إذ أن الظروف البيئية كانت قاتلة. لذلك كان يتم إرسال إما عبيد إلى هناك أو بعض المحكومين بجنح مختلفة [40]. هكذا كانت أهمية البخور بالنسبة لخزينة الدولة الحضرمية.

استدعت ضرورة اقتسام ضرائب مرور التجارة بين كل من سبأ وقتبان الرغبة لدى الحضارم في التحرر من قيود ذلك الخط التجاري الذي كان يمر عبرهما. حيث بدأت حضرموت عن طريق بري آخر نحو الشرق باتجاه الخليج حتى مدينة الجر هائيين. فقد كتب في زمنه استرا بون يقول:" مارس الجرهائيون التجارة ، عبر الطرق البرية، وبالأخص السلع العربية والطيوب" [41].

إذ أن الجرهائيين كانوا ينقلون البخور إلى جنوب بلاد الرافدين، وحاولوا في وقت من الأوقات أن ينافسوا المعينيين في مناطق حوض البحر المتوسط. عند منتصف القرن الثالث ق.م. وقد تجرأ أول البحارة البطالمة على البدء بعمليات استكشافية للساحل الغربي من الجزيرة العربية، وأشاروا إلى أن :" اللادان وبقية السلع التي تدخل ضمن الطيوب تصدر إلى فلسطين من قبل المعينيين والجر هائيين" [42]. ولذلك فإن المر الذي كان يصدر إلى العالم الإغريقي والروماني من بلاد العرب الجنوبية، كانوا يسمونه المر المعيني أو الجر هائي، على الرغم من أن المر سواءً كان المعيني أم الجر هائي لا ينتج إلا في حضرموت وقتبان[43].

بذلك يمكن القول إنه؛ عند منتصف القرن الثالث ق.م. كان المعينيون قد شغلوا الموقع الرئيس في تجارة البخور، الذي ينتج في بلاد العرب الجنوبية، مع بلدان حوض البحر المتوسط ومصر. ومن ثم تمكن المعينيون من إخراج الجرهائيين من المنافسة التجارية مع تلك المناطق[44]. وعندها بدأت تعمل المستوطنات المعينية والبورصات التجارية في شبوة (حاضرة حضرموت) وفي تمنع (حاضرة القتبانيين) ، وفي شعوب بالقرب من صنعاء، وقد كان ذلك على مستوى جنوبي بلاد العرب و في شمالي شبه الجزيرة العربية وفي غيرها من مناطق حوض البحر المتوسط كما انتشرت في واحة؛ ددان ويثرب، وربما في غزة ومصر ، بل وفي جزيرة ديلوس-كما سنرى لاحقاً-. أبرز تلك المستوطنات- كما لاحظنا سابقاً- ددان في واحة العلا [45]. كذلك كان لمستوطنة

تمنع أهمية كبيرة ؛ إذ أنها مثلت مجتمع معيني مصغر هناك، كان يرأسه كبير[46]، وقد تمت الإشارة لهذه المستوطنة في قانون قتبان التجاري، حيث " تساوى مواطنو الدولة المعينية مع مواطني قتبان في الحقوق التجارية"[47].

وبعدها تغلغل التجار المعينيون في بلدان حوض البحر المتوسط (مصر وغزة والجزر اليونانية) ، وعاشوا هناك لفترات طويلة. وقد عثر على تابوت الكاهن المعيني زيد إل بن زيد من عشيرة ضيران المعينية، الذي ربما كان واحداً " من الكهنة المصريين، الذين كانوا يجلبون المر واللبان والطيب لمعابد الآلهة المصرية أيام حكم بطليموس بن بطليموس"[48]. كما يفهم من خلال بقية النص أن زيداً كان شخصية مهمة وكاهناً في مجمع "ساربيس"[49]. وتم العثور، كذلك، على نقوش معينية مختصرة على طريق القوافل التجارية في وادي الحمامات الذي يمتد من النيل إلى ميناء القصير[50]. وفضلاً عن ذلك فقد تم العثور على نقش معيني ثنائي اللغة (باللغة المعينية واللغة اليونانية) على مذبح في جزيرة ديلوس، سوق النخاسة المعروف في العالم القديم آنذاك [51].

وقد بلغت العمليات التجارية المعينية أوج ازدهارها خلال القرنين الرابع والثاني ق.م. ووصلت قوافلها، كما لاحظنا، حتى مناطق بحر إيجه. وفي هذه الأثناء لم تستطع أن تبقى هذه التجارة مهنة عربية جنوبية خاصة، إذ برز لها منافسون من مناطق مختلفة. فقد كتب اراثوسفين في عصره يقول؛ إن التجار المسافرين إلى جنوب بلاد العرب، من أجل البخور هم من إيلات [52]. ثم أكد ذلك في وقت لاحق بليني الأكبر[53]. ربما هنا أثرت الحوافز التي كان يقدمها للتجار البطالمة (حكام مصر) ، وفي ما بعد الإدارة الرومانية في مصر على زيادة هذه التجارة . حيث كانت القوافل التجارية تنطلق بآلاف الجمال.

ونستطيع معرفة طريق القوافل التجارية، من مكان جمع الإنتاج وحتى منطقة استهلاكه، من خلال المعلومات التي قدمها لنا الكتاب الكلاسيكيون (أريان، ثيوفراست ، اراثوسفين وبليني الأكبر). أي أن كل ما يجمع في حضرموت ينقل إلى الحاضرة الحضرمية شبوة، حيث توجد ما يشبه البورصة، وبعد فصل ضرائب المعبد (تصل إلى حوالي الثلث-أحياناً) ، يبدأ المزاد، في وجود التجار القادمين من معين وجرهاء وغزة.

بعد ذلك يتم تعبئة البضاعة المشتراة، في شوالات جلدية، وتسوق عبر طريقين مختلفين: في القرنين الرابع والثالث ق.م. الأول ينطلق من شبوة حتى "جرهاء" على الخليج، وكانت تقطعه القوافل بحوالي أربعين يوماً. من هناك كان الجرهائيون يحملون البضاعة باتجاهين مختلفين-أيضاً-؛ عن طريق البحر أو عن طريق البر، نحو جنوبي بلاد الرافدين، ومن هناك تنقل البضاعة على قوارب جلدية، عبر مجرى النهر، إلى الشمال. والطريق الأخر؛ يقطع شبه الجزيرة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، حتى غزة، حيث يبتاع البضاعة التجار المصريون(54).

وكان المركز الثاني لبيع الطيب والمر واللادان هو؛ تمنع- الحاضرة القتبانية. وبالرغم من أن أشجار البخور والمر وغيرها كانت في أراضي قتبان قليلة، إلا أن القتبانيين منذ القرن الرابع ق.م.، تمكنوا من احتكار تجارة البخور والقرفة التي كانت تصل من الصومال، على قوارب حتى الموانئ القتبانية. وكانت البضاعة بعد بيعها على التجار المعينيين والجرهائيين وغيرهم من التجار القادمين إلى تمنع، تعبا في شوالات جلدية. ومن تمنع كان يبدأ طريق القوافل الرئيس الثاني، حتى يصل غزة؛ وكانت الرحلة تستغرق فيه70 يوماً. وكانت القوافل التجارية تعبر مارب ومنها إلى وادي الجوف، وتمر في الحاضرة المعينية يثيل ومنها إلى نجران فقرية الفاو (حاضرة كندة ومذ حج) ، ثم العلا (ددان) إلى البتراء، وبعد ذلك إلى غزة (خريطة رقم اثنين) . مع العلم أنه في مرحلة من المراحل وجد فرع لهذا الخط التجاري امتد من بتراء شرقاً باتجاه بادية الشام ومنطقة الفرات.

في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. وقد أثر تنظيم القوافل التجارية بشكل واضح على هذا الطريق، وتم اختصاره إلى65 يوماً (بدلاً من70يوم) . وعلى طول المسافة هذه ، كان لابد من الدفع مقابل الخدمات المختلفة ، التي كانت تقدم للقوافل: "...وكان يدفع قسط محدد للكهنة وكتبة القصر ، كما يتم الدفع للمراقبين والحرس ، وللبوابين والخدم . ثم بعد ذلك تدفع القوافل مقابل المياه والكلأ للجمال والطعام للناس المرافقين للقوافل ومحطات الوقوف قسطاً آخر. فضلاً عن الدفع مقابل مرور التجارة في المناطق المختلفة التي يمرّ بها طريق القوافل. وقد كان يكلف حمل الجمل الواحد، من

منطقة الإنتاج وحتى منطقة الاستهلاك حوالي 688 ديناراً رومانياً ، عدا عن الدفع للملتزمين الرومان. وبذلك كان يصل سعر الرطل الواحد من الطيوب إلى6 دنانير" [55]. وكان يجب أن تكون حدود لكل ذلك، أي أن تجارة البخور، عن طريق القوافل البرية أضحت غير مجدية .

وقد نفذ الأنباط في شمالي غرب شبه الجزيرة العربية سياسة جمركية، اقتضت الحصول- قدر الإمكان-على مبالغ كبيرة من ضرائب مرور التجارة في منطقتهم، وفي الوقت نفسه عمل البطالمة في مصر ومن بعدهم الرومان، على تغيير طريق التجارة، وإرسال كل البضائع عن طريق البحر، حيث تمت السيطرة الإغريقية والمصرية على الملاحة البحرية وكذلك على التجارة. وبذلك بدأ عصر جديد في دراسات طرق الملاحة البحرية، المتجهة من الغرب نحو شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي. ففي عهد الاسكندر المقدوني، الذي سمع كثيرا عن الثروات في جنوبي شبه جزيرة العربية، بعد سيطرته على مصر في عشرينيات القرن الرابع ق.م.، أرسل بعثة بحرية من البحر الأحمر للدوران حول شبه جزيرة العرب [56]. ثم انطلقت بعد ذلك عدة بعثات من أسفل الفرات نحو مصر[57]. على أن تلك البعثات لم تحقق أهدافها التي أرسلت من أجلها وهي الدوران حول خليج عمان. وبالرغم من ذلك حصل عالم البحر المتوسط، بفضل تلك البعثات على معلومات موثوق بها عن إمكانية الإبحار حول الشواطئ الغربية والجنوبية لشبه جزيرة العرب . وإذا أضفنا إلى ذلك إبحار نيارخ وانيسيكريت، اللذين قدما للملاحة البحرية، خرائط موثوقاً بها عن الملاحة من مصب نهر السند حتى مدخل مضيق هرمز[58]، فإن البحارة الإغريق هم أول من فتحوا الطريق البحري إلى الهند في القرن الرابع ق.م، على الرغم من مرورها قرب السواحل، لأن الرياح التجارية كانت إلى ذلك الوقت لم تكتشف بعد. وقد رأى أولئك البحارة أشجار البخور، التي كانت تنمو في مزارع ملوك حضرموت، قرب خليج القمر[59].

واتخذ فيما بعد، ملوك مصر من الأسرة البطلمية[60] الخطوات التالية لا سيما عند منتصف القرن الثالث ق.م، فيأثناء حكم بطليموس الثاني حيث قام واحد من أقاربه، يدعى أريستون، برحلة حول ساحل شبه جزيرة العرب، وتتبع بدقة الخط البحري حتى عدن[61].

وفي النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، وضع شخص مجهول خريطة ملاحية كاملة حتى الصومال[62]. على أن التجارة البحرية الإغريقية المصرية عند شواطئ شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث قبل الميلاد كانت قد بدأت. ولم تتمكن تلك الرحلات البحرية إلا من الوصول إلى ميناء عدن، الذي كان يخضع حينئذٍ لقتبان، وكان يتم هناك تفريغ السفن الهندية وتعبئة المصرية [63].

انتقال القوافل التجارية من البر إلى البحر.اختفاء مملكة معين

استفادت قتبان وحضرموت من انتقال تجارة البخور إلى البحر باعتبارهم دولاً تمتد حتى سواحل البحر العربي في الجنوب ومنطقة باب المندب في الجنوب الغربي. لقد نمت مدن وموانئ جديدة على السواحل؛ يذكر منهاموزع واكيليس جنوب الساحل الشرقي للبحر الأحمر وعدن وقنا وخورروري على ساحل البحر العربي. وكانت اكيليس ميناءً تجارياً وقتبانياً مهماً مع الصومال، أما قنا فقد كان يصدر منها البخور الحضرمي[64]. بهذا الشكل وحتى منصف القرن الثاني ق.م. وكان البحارة والتجار الإغريق والمصريون قد عرفوا بشكل جيد الملاحة في البحر الأحمر وخليج عدن. فقد كانوا يصلون بسفنهم حتى سواحل الصومال وعدن، حيث كان يتم تفريغ سفن الهنود واليمنيين وإعادة شحن البضاعة على سفنهم والعودة إلى مصر. في هذه الأثناء كان الأسطول الحربي المصري يجوب مياه البحر الأحمر لحماية السفن التجارية من القراصنة هناك .

في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، وجهت ضربة كبيرة لاحتكار اليمنيين تجارة الترانزيت بين الهند ومصر.أي أنه في العام116أو115 ق.م . عثر البحار الإغريقي Euduxus ، مع أحد البحارة الهنود جنحت سفينته -على ما يبدو- جنوبي البحر الأحمر ، حيث لم تكن تملك معلومات عن نظام الرياح الموسمية (التجارية) التي تهب في المحيط الهندي ، ومع ذلك قام برحلة إلى الهند والعودة [65]. و بعد ذلك كُلف القبطان"هانيبال" ، بتعميم كل التجارب السابقة، ولخص أكثر الخطوط اقتصاداً في وقته من مصر إلى الهند مباشرة في وسط البحر بعيداً عن السواحل العربية [66]. وبالنتيجة، بعد حوالي مئة عام ، وفي الخط الذي أسسه افد وكس الكيزيكي، كانت تمخر عباب المحيط الهندي أكثر من120 سفينة تجارية إلى الهند والعودة [67].

ونتيجة ذلك حرمت بلاد العرب الجنوبية من احتكار تجارة المـــرور. لقـــد كـــان لإقامة خطوط ملاحية بحرية منتظمة ومؤسسة على خرائط موثوق بها ومن ثـــم مبنيـــة على نظام الرياح الموسمية (التجارية) أثره في ذلـــك ، وقـــد أن ســـمح، مـــع الوقـــت، لحضرموت، وفي ما بعد لقتبان أن يتخلصا من وساطة المعينيين والسبئيين، أن يـــشحنوا منتجاتهم من الطيوب والبخور على السفن الإغريقية والمصرية من الموانئ المخصـــصة لذلك. وبالنسبة للدولة المعينية كان يعني ذلك انهيار كامل لحياتها الاقتصادية. بمعنـــى أن المعينيين اعتمدوا فيما اعتمدوه في نشاطهم الاقتصادي على التجـــارة البريـــة، فحينمـــا تحولت القوافل التجارية إلى البحر، فإنها بذلك وجهت ضربة اقتصادية ماحقـــة لاقتـــصاد معين. ومن ثم عجلت بنهاية دولة معين. وعندما سيطرة روما على سورية ومصر فـــي القرن الأول قبل الميلاد وتعقد الوضع أكثر. أي أن الإمبراطورية الرومانية أقـــدمت علـــى اتخاذ خطوات مهمة في سبيل وضع التجارة الشرقية تحت رقابتها، وهي التي كانت تدر لها مبالغ ضخمة على شكل ضرائب. وقد ازدادت ضرائب التجارة بشكل ملحوظ، باستخدام الوسائط البحرية في نقل البضائع، التي كانت تنطلق من جنوب بلاد العرب والهند مباشرة إلى الموانئ المصرية. وفي ذلك الوقت بدأ الرومان يدعون حقهم في السيطرة على كـــل ضرائب التجارة البحرية في شمال المحيط الهندي والبحر الأحمر[67].

وبالنتيجة بدأ الصراع بين دول جنوب شبه الجزيرة العربية يشتد، بسبب تضاؤل التجارة واقتصارها على تلك الدول التي كانت تمتلك مـــوانئ بحريـــة . وكانـــت أســـباب الصراع تدور حول ؛ كيفية السيطرة ليس على تجارة اللبان، ولكن على الأراضي التـــي تنتج اللبان، فضلاً عن المناطق، التي توجد بها موانئ التصدير (قنا، عدن ومـــوزع) . في غضون ذلك، وفي نهاية القرن الأول ق.م. حاولت الإمبراطوريـــة الرومانيـــة اتخـــاذ خطوات من أجل السيطرة على المناطق الساحلية، في بلاد العـــرب الجنوبيـــة، وتحديـــداً مناطق حضرموت، التي كانت تنمو فيها أشجار البخور. وبذلك قـــام الأســـطول الحربـــي الروماني بعمليات عسكرية من البحر والبر. وإذا كانت المعلومات التي وصلتنا من بلينـــي موثوقاً بها، فإن أسطول الإمبراطور أغسطس، قد قـــام بتلـــك العمليـــات الحربيـــة عنـــد السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، أي أنه ضرب عدن [68]. أمـــا صـــاحب كتـــاب

الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا لبضعة من الوقت على عدن[69]. وكانت حملة اليوس جالوس ذروة تلك المحاولات، عندما ترأس حملة عسكرية ضخمة انطلقت من ميناء القصير في مصر نحو بلاد العرب، من أجل السيطرة على مناطق إنتاج الطيوب. إلا أن تلك الحملة باءت بالفشل ولم تحقق أهدافها.

الخلاصة

عرفت بلاد العرب الجنوبيين مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، زراعة مزدهرة، واستخدمت أساليب متطورة في الري الصناعي. وإلى جانب الزراعة، انتشرت فيها زراعة أشجار البخور والمر والورس والقرفة وغيرها في شرق المملكة الحضرمية وفي أراضي أوسان وبعض أراضي قتبان وفي جزيرة سقطرى. ومن ثم أدت هذه المنطقة دوراً مهماً في التجارة بين الشرق والغرب، في التاريخ القديم. كان عدد الأسر المالكة لأشجار البخور في حضرموت يصل إلى حوالي ثلاث آلاف أسرة .

وخلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد برز السبئيون كقوة في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وقد أقامت علاقات تجارية ودبلوماسية مع بلدان الشرق الأدنى القديم، وسيطروا على تجارة البخور التي كانت تجد إقبالا شديداً في تلك البلدان. الأمر الذي عكس نفسه على مجمل نواحي الحياة في المملكة السبأية، فبنت جهاز دولة متطور وبنت المدن وعاش سكانها في رفاه ملحوظ، ذكره الكتاب الكلاسيكيون وكذلك الكتب الدينية. فضلاً عما ذكرته المصادر النقشية .

وعند منتصف الألف الأول قبل الميلاد وبعد صراع مرير بين السبئيين والقتبانيين وبعض مدن وادي الجوف، ضعفت على أثرها المملكة السبأية، فاختلت موازين القوى في جنوبي شبه جزيرة العرب، وظهرت نتيجتها دولة معين في وادي الجوف وسيطرة شيئاً فشيئا على تجارة العرب الجنوبيين الداخلية والخارجية.

أقام المعينيون شبكة واسعة من المستوطنات التجارية؛ في تمنع وشعوب وددان وغزة وربما كانت لهم جالية كبيرة في مصر. فضلاً عن وصولهم إلى جزر بحر إيجة .

تاجر العرب الجنوبيون بالبخور والمر والورس والقرفة، وهي منتجات كانت تنتج في بلادهم، وتاجروا كذلك بمنتجات كانوا يجلبونها من الهند وشمال شرق أفريقيا. وقد درت

تلك التجارة على لدول العربية الجنوبية القديمة ثروة كبيرة، بالغ في تقديرها الرحالة اليونانيون والرومان، وكتبوا عنها كثيراً. فوصلت أخبار تلك الثروة إلى مسامع ملوكهم وأباطرتهم، فأثار ذلك رغبتهم في السيطرة على مناطق إنتاج تلك السلع. وقد حاول من وقت لأخر تجار من جرهاء وغزة وصيدة أن ينافسوا المعينيين في احتكارهم للتجارة ، لكنهم أزيحوا مع مرور الوقت.

وفي الثلث الأخير من الألف الأول قبل الميلاد، ازداد الطلب على سلعة البخور والمر، الأمر الذي أدى إلى أن تجمع تلك السلعة مرتين في العام، بعد أن كانت تجمع مرة واحدة. ووصل سعر الرطل الواحد من المر إلى 6دنانير في مناطق الإمبراطورية الرومانية، وسعر الجمل إلى 688 دينار. وحدثت محاولات عدة في تنفيذ رغبة الأباطرة الرومان في السيطرة على مناطق إنتاج البخور، فضلاً عن السيطرة على طرق التجارة. اتبع أولائك الأباطرة في البداية ألأساليب العسكرية للاستيلاء على تلك المناطق، وعندما فشلوا استخدموا الطرق الثقافية والدبلوماسية.

تأثر العرب الجنوبيون بتلك المناطق التي أقاموا معها روابط تجارية واجتماعية (زواج وخلافه) ، وكانوا سادة القوافل التجارية البرية. فقد تم العثور على لقي أثرية في قرية الفاو والعلا (ددان) وفي غزة ومصر وجزيرة ديلوس، شملت نقوش سبئية ومعينية، على التوالي ومذابح (النار) لآلهة السبئيين والمعينيين. كما تم العثور على بقايا معابد وبورصات تجارية، كلها تدل على التأثير والتأثر الذين كان بين العرب الجنوبيين وسكان مناطق الشرق القديم. بعد تحول الطرق التجارية من البر إلى البحر، تضررت الدول العربية الجنوبية القديمة، التي تقع أراضيها بعيدة عن السواحل البحرية. فاختفى البعض منها مثل الدولة المعينية وضعف البعض الآخر مثل سبأ ، و بذلك سيطر على التجارة وطرق القوافل البحرية المصريون والإغريق ثم الرومان، واكتفى العرب الجنوبيون بما كانوا ينتجونه من البخور والمر واللادان وغير ذلك، في كل من حضرموت وقتبان. فضلاً عن ذلك كانوا يحصلون على ضرائب تجارة الترانزيت القادمة من شبه القارة الهندية وشمالي شرق أفريقيا .

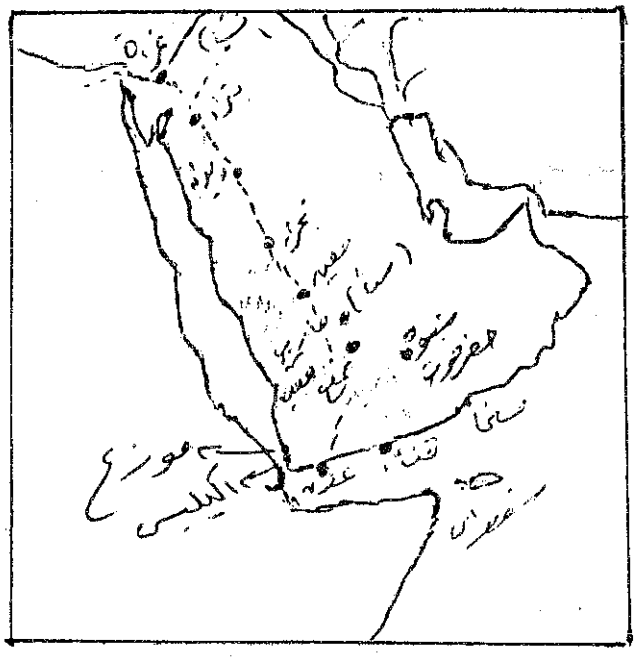

خريطة رقم(1) بلاد العرب الجنوبية في بداية الألف الأول قبل الميلاد
المصدر : كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ

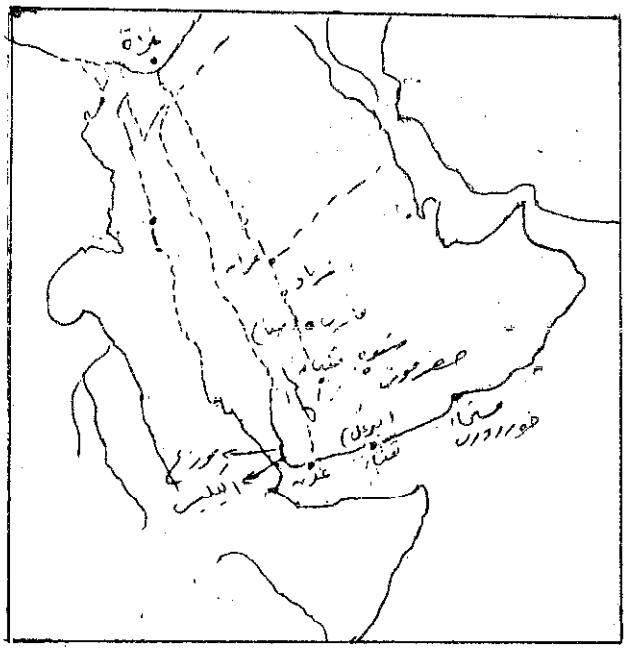

خريطة رقم (2) جنوب شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد

الهوامش :ـ

(1) p32.، no.9،1985، Znanie cila،Bayer G. Raybun in Hadramayt

(2) حول نظام الدولة في سبأ أنظر ؛ جلب باوير، في المبشر في التاريخ القديم، العدد الثاني الصادر في جامعة موسكو لعام1964، 64-65.

(3) أنظر المعجم السبئي1982، ص78.

(4) بافقيه، محمد عبد القادر وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديم، تونس1985، ص398.

(5) الصليحي، على محمد: المكرب، الموسوعة اليمنية، صنعاء1992، ص902.

(6)Rick،Stephen: Lexicon of Inscriptional Qatabanian، Roma1989، p87.

(7) أنظر؛ لوندين، دولة مكربي سبأ(الإيبونيم السبئي) ، الصادر باللغة الروسية في موسكو1971، ص136 وص204-205.

(8) على الرغم من أن التمايز لطبقي لم يكن واضحاً بعد بما فيه الكفاية. إذ أن الطبيعة الأبوية للعبودية كانت هي السمة الغالبة في العلاقات بين الطبقات. وكان العبد يعد أحد أفراد المجموعة الأسرية.

(9) لوندين، أبراهام، المعطيات الاقتصادية- الاجتماعية للنقوش السبأية النذرية خلال حقبة المكاربة، المبشر في التاريخ القديم،- العدد الثالث الصادر في جامعة موسكو-لعام1962، ص25.

(10) الكتاب المقدس، كتاب الملوك الثالث10،1-15 . ربما حدثت تلك الزيارة سنة945 قبل الميلاد؛ كذلك: ذكرت هذه الزيارة في سورة النمل، الأيات22-24.

(11) كريستيان جوليان روبان، سبأ والسبأيون، في حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء2005، ص23.

(12) أنظر لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع؛ ناصر صالح حبتور، توحيد اليمن قديماً بين ذكر إل وكرب إل، في مجلة سبأ الصادرة عن أقسام التاريخ في جامعة عدن_العدد12، يوليو2003، ص15-28؛ قارن كذلك: اسمها ن الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية(اليمن القديم)، جامعة عدن ط1-2002، ص147-150؛ كذلك: مهيوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية (الكتاب الأول: التاريخ السياسي)، صنعاء-ط1-2003 ، ص71-73.

(13) ناصر صالح حبتور، توحيد اليمن...، المرجع السابق، ص15-28؛ قارن كذلك: اسمها ن الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم... المرجع السابق، ص147-150؛ كذلك: مهيوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري...، المرجع السابق، ص71-73؛ عبدالله حسن الشيبه، كرب إل وتر الكبير أول موحد لليمن، ندوة جامعة عدن، فبراير2001.

(14) أ نظر النقش الموسوم بـ(RES 3946)؛ قارن كذلك: بافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، ط2، بيروت1985، ص56؛ كذلك: مهيوب غالب احمد، العلاقات الدولية لليمن القديم في بداية الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة= = كلية التاريخ- جامعة موسكو1986 ، الفصل الثالث، ص19-24؛ كذلك: اليمن القديم من دول القبائل إلى الدولة الواحدة، مجلة اليمن الجديد، العدد الخامس- السنة الـ19، صنعاء1990؛ كذلك؛ كريستيان جوليان روبان، تأسيس إمبراطورية السيطرة السبأية على الممالك الأولى(القرن الثامن- القرن السادس ق.م.)، في؛ اليمن في بلاد ملكة سبأ، تعريب: بدر الدين عر ودكي، معهد العالم

العربي- باريس ودار الأهالي، دمشق، (الطبعة العربية1999)، ص89- 97؛ كذلك: اسمها ن الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم...،المرجع السابق، ص147-150؛ كذلك: مهيوب غالب احمد، مدخل إلى دراسة التاريخ السياسي والحضاري ...، المرجع السابق، ص71-7.

(15) هذا التحالف معروض، باختصار، في النقشين3946 RES and RES 3945.

(16) أنظر النقش2980 RES. حتى وقت غير بعيد كانت النقوش المعينية غير معروفة، إذ أن بعض من تلك النقوش كانت معروفة على شكل صور منسوخة بخط اليد لدى العالم الفرنسي؛ يوسف هاليفي. فقد نسخها له اليمني: حاييم حبشوش في سبعينيات القرن التاسع عشر(1870)، وصور وجدت لدى الباحث المصري؛ محمود توفيق، والتي نشرها في منتصف القرن الماضي العالم يحي نامي في أعداد مختلفة من مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، تحت عنوان: نقوش سامية من جنوب بلاد العرب.

وقد تمكن المستشرق الروسي؛ بطرس غريازنيفتش من السفر إلى الجوف وصور القسم الأكثر من تلك النقوش، كانت موجودة في حائط مدينة براقش(وهي التي كانت تسمى- سابقاً يثيل). وتم نشر تلك النقوش مع انطباعات المستشرق المذكور في كتاب عن المدن المعينية حمل عنوان : " البحث عن المدن المطمورة"، الفصل " براقش" ص215-233، موسكو1982 ؛ قارن كذلك: جلب باوير، النقوش المعينية من أطلال براقش/ الآثار الكتابية ومشكلات تاريخ وثقافات شعوب الشرق، الندوة التاسعة التي عقدت في معهد الإستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية- قسم لينينجراد." شبه جزيرة العرب في التاريخ القديم" / ، موسكو1973 ، ص18-32.

(17) أنظر النقش3015 RES.

(18) أنظر النقش2831 RES.

(19) أنظر: جلب باوير،" كشف المحضيات" من معين، " المؤتمر الاتحادي الثامن حول الشرق القديم، والمكرس لذكرى الأكاديمي ف. استر وفه/1889/2/2-1965/9/15/، موضوعات بحثية، موسكو6-9 فبراير1979، ص13- 15 .

(20) فمثلاً في واحدٍ من تلك النقوش/ م. 392 السطر التاسع من الطبعة الإيطالية للنقوش المعينية/ نقرأ الآتي:" يحوم إل بن= حوحوم من عائلة رتع، عشيرة(أو بدنة حسب الوقت الحالي) غبأن أهدى الإله عشتار و في ما بعد اشترى لنفسه امرأة (اسمها تحبس) من مصر". مع العلم أن عشيرة غبأن كانت تمثل أكبر اتحاد تجاري معيني .

(21) أنظر النقش:3022 RES.

(22) تحت مسمى أشور؛ ربما، يجب أن يفهم ليس أراضي الدولة الآشورية، ولكن منطقة جنوب بلاد الرافدين، أما ما وراء النهر(عبر النهر)،- أغلب الظن- هي ؛ بحسب مصطلحات الحقبة الأخيمينية، منطقة سورية وشرق البحر المتوسط. قارن: دندمايف م.ا.، التاريخ السياسي للدولة الأخيمينية، موسكو1985، الحاشية بعنوان:" ما وراء النهر"، ص312 .

(23) غير معروف، ما ذا يعني مسمى: مذاي(أو مزاي) هل هم الفرس في مصر أو القبائل النوبية الجنوبية، قد هاجمت الشمال .

وبشكل عام فإن جوهر النقش يسمح أن نحدد زمنه عند نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م.

(24) أنظر : عبدالله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم- مابين العصر السومري وسقوط المملكة التذمرية، ط1 ، بيروت 1999 ، ص364 .

(25) قارن النقش3346 RES.

(26) كان ذلك في عام 600 قبل الميلاد تقريباً؛ أنظر: Herodotus، The Persian Wars، IV-42 ،
translated by George Rawlinson with an introduction by Francis R.B.Godolphin،
Modern Library; 255
(New York; Modern Library)،
1947، : p.306.

(27) لمحات من تاريخ أفريقيا، موسكو1978، ص125.

(28) شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط1- 1991، ص60.

(29)Gordon Child، What Happened in History، A Pelican Book(Harmodsworth، Eng.: Penguin Books، 1942)، p. 146.

(30) نفسه.

(31) شارل عيساوي، المرجع السابق.

(32)R. Ghishman.Iran (London: "n.pb."،1952)،pp.186 and181-188.

(33)Mikhail Rostovtsev، The Social and Economic History of Hellenistic World،3vols.(Oxford: Clarendon Press،1941)، vol. 1، pp.83-90.

(34) بحسب بليني الأكبر(XII،58): عادة كان يجمع البخور مرة واحدة في العام، بسبب قلة الطلب عليه؛ حالياً (في عصر الكاتب) ، وقد استدعى الطمع بالمال إلى أن يجمع مرتين في العام.

(35) أنظر: باوير ولوندين، تاريخ اليمن القديم، ترجمة: أسامة عبد الرحمن النور، عدن 1984.

(36) أشار بليني الأكبر(XII)،63: " إن نقل البخور- المجمع في حضرموت- لايمكن أن يتم إلا عبر قتبان".

(37) كتب بليني يقول(XII،63): "إن البخور الذي يجمع في حضرموت ينقل على الجمال إلى شبوة(عاصمة البلد)، وهو ما فتحت من أجله عدة أبواب. وقد أكدت القوانين الملكية على ضرورة مراقبة الطرق بصرامة. أنظر كذلك:" كتاب الطواف حول البحر ألإريتري " ، الترجمة الروسية، في مجلة المبشر في التاريخ القديم لعام1940، العدد الثاني الفقرة 28 .

(38) بليني الأكبر(XII،54-52).

(39) نفسه؛ قارن كذلك: محمد السيد محمد عبد الغني، مصادر القرنين الأول والثاني للميلاد حول مناطق إنتاج وتصدير اللبان العربي"رؤية نقدية"، في مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع- المجلد الأول، القاهرة1999، ص111.

(40) أنظر: كتاب الطواف، المصدر السابق، الفقرة29، حيثما يقول:" يجمع اللادان عبيد الحكومة وأولئك الذين يرسلون إلى هناك كعقاب لهم. لأن تلك الأماكن ليست صحية تماماً...،".

(41) أنظر استرابون، جغرافيا(XVI،III،2،3)، قارن كذلك: أريان، الهند، 32، 7 (المبشر في التاريخ القديم 2،1940) ؛ بوليبي، التاريخ العام...، موسكو1890- 1899، الكتاب الثالث عشر.

(42) ديودور الصقلي، المكتبة،III، 42، 5.

(43) أنظر بليني الأكبر(69،XII).

(44) نفسه، (80،XII).

(45) أنظر: النقش3346 RES.

(46) أنظر النقش رقم9 الذي أصدره محمود الغول السطرين الأول والثاني. كذلك أنظر الصفحة الخامسة من هذا البحث.

(47) النقش4337 RES.

(48) أنظر النقش المعيني على التابوت الذي وجد في مصر والموسوم بـRES3427. وهو كما يبدو كان في ذلك الوقت يحكم في مصر بطليموس الأول.

(49) حول مجمع ساربيس، أنظر: عاصم احمد حسين، دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة، غاد يكو القاهرة- ط2-1991، ص77-87.

(50) غالينيشف ف. س.، نتائج الرحلات الأثرية(النقشية) في وادي الحمامات،" شرق- غرب جمعية القسم الأثري الروسي"، المجلد الثاني، الجزء1-2، 1888.

(51) "في هذا النقش المعيني(RES 3570)، يذكر أن اثنين معينيين؛ أقاما نصب(مذبح) للإله ودد وآلهة معينية أخرى في جزيرة ديلوس" السطر2-3.

(52) اراثوسفين، في جغرافية استرابون(4، IV،XVI).

(53) أنظر؛ بليني(64،XII).

(54) أنظر إن شئت: علاء الدين عبد المحسن شاهين، التأثيرات الحضارية بين مصر الفرعونية وشبه الجزيرة العربية في العصر الحديدي:دراسة نقدية، في مجلة المؤرخ العربي-العدد الحادي عشر،المجلد الأول،القاهرة 2003 ،ص14.

(55) بليني64-65،XII ؛ قارن كذلك: نايجل غروم، طيوب اليمن، في كتاب؛ اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عر ودكي، معهد العالم العربي- باريس ودار الأهالي، دمشق، (الطبعة العربية1999، ص73-74.

(56) أنظر: أريان، الهند، المصدر السابق، الفقرة: 7،43؛ كذلك: ثيوفراست، IX ، 3- 4 ، 8، حيثما يجري الحديث عن" أن المشاركين في هذه الرحلة قد ابحروا من جرينبول في خليج السويس".

(57) أنظر؛ أريان، حملة الاسكندر المقدوني، موسكو- لينجراد 1962،(20،VII ،10-6).

(58) أريان، الهند، المصدر السابق، 21- 32.

(59) أنظر الحاشية رقم أربعين.

(60) أنظر: خفستوف، ميخائيل، تاريخ التجارة الشرقية لمصر الإغريقية- الرومانية، قازان1907.

(61) أنظر: ديودور الصقلي، المصدر السابق، 21-48، 4 وبالذات42، 1-2 ز

(62) نفسه؛ قارن كذلك: لمحات من تاريخ أفريقيا، المصدر السابق، ص53.

(63) لاحظ عن هذا: جلب باوير، عن موقع جنوب شبه الجزيرة العربية في التجارة البحرية في النصف الثاني من الألف الأول ق.م.، مجلة مروي، العدد الثاني، ص209-227.

(64) نفسه، كذلك: استرابون(4،42،XVI)؛ كذلك: بليني الكتاب السادس،104، 152؛ كذلك: كتاب الطواف...، الفقرات 16-17، 21، 24-25، 27-30.

(65) عن رحلة Euduxus kiziki أنظر: استرابون(II،III، 4).

(66) أنظر كتاب الطواف، الفقرة57؛ وكذلك: بليني،VI،101.

(67) كتب استرابون(II،V،12) يقول".. عرفت أن حوالي 120 سفينة يقومون برحلات من ميناء القصير(ميـوس هر موس على البحر الأحمر) إلى الهند...".

(67) أنظر؛ كتاب الطواف، الفقرة 31؛ كذلك: بليني، (VI،84) .

(68) بليني، الكتاب الثاني الفقرة168.

(69) كتاب الطواف، الفقرة 26.